الجزء الثاني

الحركات الدينية بالوطن العربي (من نهاية القرن 18إلى نهاية القرن19):

ثانيا: الحركات الإصلاحية الحديثة: كان لاتصال العرب بالغرب الأوروبي وللاستعمار الحديث أثر لدي المفكرين المسلمين الذين رأوا الفرق الحضاري الشاسع بين المسلمين والغرب، ورأوا ضرورة نهضة المسلمين، فطرحت إشكاليات كثيرة في هذا المجال، منها: كيف نستفيد من الحضارة الأوروبية مع المحافظة على التراث العربي الإسلامي، كيف نواجه الاستعمار؟ ومن أين نبدأ الإصلاح؟ فظهرت عدة أفكار إصلاحية، منها الحركة الإصلاحية الحديثة التي ترى الإصلاح الذاتي للمسلمين بالعودة إلى دينهم، مع الاستفادة من الغرب فيما لا يتنافى مع عقيدتهم وتشريعاتهم. وبرزت عدة شخصيات إصلاحية من اوائلهم رفاعة رافع الطهطاوي، وخير الدين التونسي، ولكن الذي كان له الأثر الأكبر في كل العالم الإسلامي، جمال الدين الأفغاني ومدرسته.

ولد جمال الدين الأفغاني في سنة 1838 بافغانستان وتعلم وتثقف ثقافة دينية إسلامية، كما تثقف بالثقافة القديمة والفلسفة، وتنقل بين عدة بلدان في الشرق والغرب، واستقر في مصر مدة من الزمن مبلغا بمشروعه وباحثا عن حاكم مسلم يتبناه، وقد اكتسب إلى جانب الثقافة الدينية تجربة سياسية، كانت لها أثر في مشروعه الإصلاحي، فرأى أن السبب الأول في تدهور حالة المسلمين هو إهمالهم ماكان سببا في نهوضهم وهو الدين. وعودة المسلمين إلى عزهم يكون بالعودة إلى دينهم، كما رأى ضرورة إزالة الفوارق بين الفرق الإسلامية، وتحرير العقل من الخرافات والجهل وتهذيب النفوس وإل الشرف والطموح ودعم العقائد الدينية بالحجج والبراهين.

كما دعا الأفغاني إلى فتح باب الاجتهاد تحرير الفكر من التقليد، والعودة إلى ماكان عليه علماء المسلمين من استنتاج وقياس معتمدين بالدرجة الأولى على القرآن والسنة. كما حارب الأفغاني الفكرة التي كانت سائدة آنذاك ودعمها الاستشراق والاستعمار، وهي أن سبب تخلف المسلمين هو الدين وأن الإسلام يتعارض مع العلم. ونظر لثقافة الافغاني الإسلامية وعلمه بالفلسفة والثقافة الغربية فقد حججه عقلية بالدرجة الأولى.

أما موقفه من الغرب فقد رفض تقليدهم في مختلف مناحي الحياة دون تمحيص، ورأى ان اطلاع المسلمين على التيارات الفكرية الحديثة ضرورة لابد منها، ورفض ما يتعارض مع عقيدتهم، فكتب كتابا بالفارسية رد فيه على الطبيعيين وأتباع داروين.

رأى الأفغاني أن الطريق إلى التدن الحقيقي هو الإصلاح الديني حيث يقول: "وحركتنا الدينية هي اهتمامنا بقلع مارسخ في عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقي، مثل حملهم على القضاء والقدر على معنى يوجب ان لايتحركوا لطلب مجد ولا لتخلص

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

من ذل...فلا بد من بث العقائد الحقة بين الجمهور وشرحها لهم على وجهها المناسب على محملها الصحيح.."

من تلاميذ الأفغاني الشيخ محمد عبده المصري (1849-1905) الذي تخرج من الزهر الشريف بمصر، وكان ساخطا على طريقة التعليم والعوم في عصره، التقى بالأفغاني في مصر ثم لحق إلى باريس وأسسا جلة "العروة الوثقى"، وتوافقا على كثير من الأفكار الإصلاحية، ولكنها اختلفا في الطريقة، فكان الأفغاني يرى أن يبدأ الإصلاح من الأعلى من إصلاح النظام اسياسي بينما الشيخ محمد عبده كان يرى ضرورة إصلاح المجتمع أولا.

لقد كان الشيخ محمد عبده يرى انحلال المجتمعات الإسلامية وضعفها، كان يسعى إلى إقامة المجتمع الإسلامي الفاضل، وأول شيء أساس في مشروعه الإصلاحي هو تطهير الإسلام من البدع والضلالات، والعودة إلى نقاء الإسلام الأول كما كان في عهد الصحابة رضوان الله عليهم. وهاجم التقليد والمقلدين كما فعل الأفغاني. كما اعتبر الاستغاثة بالقبور وتعظيم الأولياء وتقديسهم هو من الشرك فحاربه.

دعا لشيخ محمد عبده إلى إعادة النظر في المذاهب الإسلامية، والتوفيق بين الدين والعلم الحديث، واستعمال العلوم الحديثة في تفسير القرآن، ودافع عن الإسلام ضد التأثيرات الغربية وضد المبشرين المسيحيين.

كان مشروع الشروع الأساسي للشيخ محمد عبده هو إصلاح التعليم العالي في الأزهر الشريف، وسعى لجل ذلك بكل الوسائل، وكانت قناعته بذكره مبكرة حيث كتب في سنة 1876 مقالا أكد فيه أنه لا يكفي دراسة المؤلفات التقليدية في الشرع الإسلامي، وسعى لإصلاح التعليم الديني خاصة العالي. لكنه وجد مقاومة من شيوخ الأزهر. وإن أثمرت جهوده بعض الثمرات إلا أنها كانت سطحية. تخص الإدارة وليس المنهج. وركز الشي محمد عبده على إصلاح التعليم العالي، في حين أهمل التعليم الابتدائي والثانوي ومحو الأمية.

لقد تأثر بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده عددا من رجال الإصلاح منهم: محمد فريد وجدي وأحمد لطفي السيد وعبد العزيز جاويش والشيخ طاهر الجزائري وعبد القادر المغربي وجمال الدين القسمي وعبد الحميد الزهراوي ومحمد رشيد رضا وشكيب أرسلان ومحمد بيرم التونسي ومحمد الطاهر بن عاشور ومحمد الخوجة التونسي، وغيرهم كثير.

لكن أشهر تلاميذهم هو الشيخ محمد رشيد رضا الذي ولد بمدينة القلمون بطرابلس سنة 1865 وتعلم العلوم الدينية والحديثة وتتلمذ على عدد من العلماء والأدباء في علوم شتى، ارتحل إلى مصر وألف جريدة المنار التي حلت محل "العروة الوثقى" وكانت تدعو إلى الجامعة الإسلامية: "إنما أنشئ المنار للدعوة

إلى الإصلاح بجميع أنواعه..". بقيت المنار تصدر إلى حين وفاة الشيخ محمد رشيد رضا في سنة 1935. وترك عدة مؤلفات منها تاريخ الأستاذ الإمام كتاب الوحدة الإسلامية وكتاب الخلافة وغيرها.

تلخصت أفكاره في: استقلال الفكر وحرية العقل في العلم. واجتناب تقليد العلماء. ولم يدخر جهدا في التيان بالأدلة من القرآن والسنة ليثبت أن الإسلام دين علم. كما دعا إلى إبطال البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي أفسدت العقائد والأخلاق. ورأى ضرورة الاعتماد على الكتاب والسنة في تصحيح العقائد، ودعا إلى إصلاح التعليم في الأزهر الشريف، ورأى ضرورة الدعوة إلى الإسلام في كل العالم والقيام بوعظ وإرشاد المسلمين والدفاع عن الإسلام ضد الملاحدة.